تعريب تعليم العلوم في المدرسة الجزائرية
بين السياسة اللّغوية والواقع التربوي

أ.بنيني عبدالكريم

جامعة الدكتور الطاهر مولاي- سعيدة- الجزائر

- Résumé

La problématique que nous essayerons de débattre concerne les difficultés rencontrées dans l'enseignement-apprentissage des disciplines scientifiques au sein de l'université algérienne. Nous insistons, dans cet article, sur les difficultés d'ordre linguistique.

En effet, la situation sociolinguistique en Algérie est complexe, non seulement par la coexistence de plusieurs langues dans le même paysage, un phénomène considéré, actuellement, comme la règle et non pas l'exception, mais par le paradoxe marquant le rapport: politique linguistique vs réalité.

-تمهيد

يتعايش البشر مع اللّغات أينما حلّول وارتحلوا. وأيّا كانت لغتهم الأمّ، فإنّهم سيتعاملون مع لغات أخرى كلّ يوم[1]. فاللّغات تتعايش في حركية وديناميةمستمرّة بفعل عوامل جغرافية، تاريخية، سياسية وثقافية. وقد يكون أصل هذا التعايش سلميا أو عنيفا كما هو الشأن بالنسبة لالتقاء اللّغة العربية باللّغتين الفرنسية والانجليزية خلال الحقب الاستعمارية[2].

وقد عرفت الجزائر هذا الشكل من التعايش اللّغوي عبر مراحل تاريخية مختلفة، ولعلّ أشدّها تأثيرا ما حدث من تعميم للّغة الفرنسية وتغييب للّغة العربية أثناء الحقبة الاستعمارية الفرنسية.

1- Voir: Calvet Louis-Jean, 1999, La guerre des langues et les politiques linguistiques. Hachette Littératures, pp. 43-53.

2- Voir: Dubois et al, 1973, Dictionnaire De Linguistique, Librairie Larousse, Paris, P. 119.

يظهر هذا التأثير بوضوح من خلال فحص الوضعية السوسيولسانية الراهنة في الجزائر. هذه الوضعية تتّسم بالتعدّد اللّغوي الحاضر بقوّة في مؤسّسات الدولة لاسيما المؤسّسات التربوية والتعليمية.

في هذا السياق، نسعى من خلال مقالنا هذا إلى مناقشة إشكالية اختيار لغة تدريس المواد العلمية في الجامعة الجزائرية، إذ يبدو، انطلاقا من تحقيقات كثيرة أجريناها في جامعات عديدة، أنّ اختيار لغة تعليم هذه المواد يمثّل موضع جدل وجدال كبيرين في أوساط الجامعيين من باحثين، أساتذة وطلبة.

-تعريب تعليم المواد العلميةفي، بين السياسة اللّغوية والواقع

-واقع اللّغة العربية في المدرسة الجزائرية بين الماضي والحاضر

تمثّل اللّغة العربية حالة سوسيولسانية خاصّة نظرا لتنوّعاتها اللّسانية. فالتحدّث بالعربية يقتضي استعمال تنوّعات لسانية عديدة: العربية الفصحى بتنوّعيها (الكلاسيكية والحديثة)، إضافة إلى اللّهجات العربية الموزّعة عبر الوطن العربي شرقا وغربا. ومع هذه التباينات، فإنّ اللّغة العربية الفصحى المسمّاة بالأدبية هي الّتي تمثّل الواقع اللّساني الوحيد الّذي تجتمع حوله كلّ المجموعات البشرية العربية باختلاف أصولها وثقافاتها. ولهذا، فإنّه من الطبيعي أن تكون هذه اللّغة هي المقصودة بالمشاريع التعليمية في البلدان العربية وغير العربية.

إن اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية وسيلة التعليم والتواصل والتبليغ، ولهذا، كان لزاما على المدرسة أن تعتني بأمر هذه الأداة عناية خاصة، فتجعلها أداة طيعة لدى المتعلمين وسليقة فيهم بحيث تصبح أساس تفكيرهم ووسيلة تعبيرهم.

والجدير بالذكر أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية وهي من أهم وسائل الارتباط الروحي بين أبناء الوطن والأمة والمقوم الأساسي للشخصية الجزائرية.

فعملية الاتصال اللغوي هذه لا تعدو أن تكون تحدثا أو استماعا أو قراءة أو كتابة، وتلك هي مهارات اللغة وأدوات الاتصال اللغوي فيها[1].

وقد جاء في مقدمة منهاج السنة الثانية من التعليم الابتدائي أن النظام التربوي يعكس طموحات الأمة ويكرس اختياراتها الثقافية والاجتماعية ويسعى في حركية دائمة إلى إيجاد الصيغ الملائمة لتنشئة الأجيال تنشئة اجتماعية تجعل منهم مواطنين فاعلين قادرين على الاضطلاع بأدوارهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على الوجه الأكمل.

فحركية النظام التربوي تجد مصدرها في ضرورة التوفيق بين الثنائية القائمة بين ضرورة الحفاظ على التراث الثقافي الوطني والقيم الدينية والاجتماعية التي تميز المجتمع الجزائري عبر مسيرته التاريخية من جهة، واستشراف المستقبل بمستلزماته العلمية والتكنولوجية من جهة أخرى، لإعداد الأجيال إعدادا يجعل منهم مواطنين غيورين على هويتهم وقادرين على رفع التحديات المختلفة التي تفرضها العولمة.

والمدرسة الجزائرية لا تشذ على هذه القاعدة، فهي مطالبة بتجديد مناهجها وبتغيير طرق عملها ونسق إدارتها، خاصة و أن البرامج المطبقة في مؤسساتنا يعود تصميم أهدافها وتحديد محتوياتها إلى عقود خلت، وهي بذلك لا تواكب التقدم العلمي والمعرفي الذي أحدثته التقنيات الحديثة في الإعلام والاتصال.

فالمجتمع الجزائري عرف تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية عميقة غيرت فلسفته الاجتماعية وفتحت أمامه طموحات مشروعة للتقدم والرقي في ظل العدالة الاجتماعية والمواطنة المسؤولة[2].

1-ينظر: منهاج السنة الأولى من التعليم الابتدائي جوان2011

2-ينظر: منهاج السنة الثانية من التعليم الابتدائي، المرجع السابق.

لقد كان التعليم يقتصر في الفترة الاستعمارية على تعليم القراءة والكتابة وإتقانها تمهيدا لحفظ القرآن الكريم وتجويده ثم تعليم المبادئ الأساسية للحساب فإذا أتم التلميذ حذق هذه المواد فإنه ينتقل إلى التعليم في المرحلة الأخرى.

وفي المرحلة الثانوية والعالية، فإن الطلبة كانوا يدرسون علوما متنوعة وكانت بصفة عامة تنقسم إلى قسمين: علوم نقلية وعلوم عقلية. فالعلوم النقلية كانت تشتمل على:
التفسير والحديث والفقه وأصوله، والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وأما العلوم العقلية فقد كانت تشتمل على القواعد والبلاغة والمنطق، وعلم التوحيد والفلسفة، والحساب والهيئة أو علم الفلك والتاريخ.

أما حاليا، فإن أهم المواد المعتمدة في المنهاج الوطني خلال المراحل الأساسية هي: التربية الإسلامية والاجتماعية واللغة العربية والرياضيات والعلوم، بالإضافة إلى المواد التأسيسية وهي التكنولوجيا والتاريخ والجغرافية والموسيقى وفنون التصميم إلى جانب التربية البدنية واللغات الأجنبية المعاصرة، وضعت بمعايير لتنمية عمليات التفكير ومهاراته، وتوفر مصادر المعرفة والتكنولوجيا وفرص استخدامها في المواقف المختلفة وتعد مادتي اللغة العربية والتربية الإسلامية من المواد الأساسية.

ويرتكز تعليم اللغة العربية في السنة الرابعة متوسط على تنمية القدرة على التواصل الشفوي والكتابي لدى المتعلم، ويتحقق ذلك بتوسع مكتسباته وإثرائها، وبدعمها وتعزيزها اعتمادا على وضعيات متنوعة

ويكتسي تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية أهمية خاصة وذلك بالنظر إلى أن هذه السنة تعد تتويجا لمرحلة التعليم الثانوي وسنة اجتياز امتحان البكالوريا.

وإذا كانت المقاربة بالكفاءات توصي باعتماد التنوع في طرائق التدريس وتجعل من المتعلم المحور الرئيس في تفعيل النشاطات. فإن هذا المبدأ يزداد أهمية في هذه السنة لكون المتعلم قد حصل على مكتسبات تسمح له بأن يتوصل بنفسه إلى استنباط الأحكام من الدرس وإبراز أهميتها في حياته.

أضف إلى ذلك درجة النضج الفكري التي أصبح يتمتع بها وشعوره بالدخول في مرحلة الرشد.

وعليه فالطريقة الفضلى في هذه المرحلة الختامية من تمدرس المتعلم إنما هي تلك التي تقحمه في الفعل التربوي وتجعله يفعل إمكاناته الفكرية ويسخر قدراته العقلية[1].

***سياسة تعريب التعليم بين التصوّر والواقع**

لاحظنا، خلال الكثير من اللّقاءات العلمية (ملتقيات وندوات)، أنّ مسألة المنزلة السوسيولسانية للّغة العربية في الجزائر محلّ نقاش دائم، إذ تتباين المواقف حول اعتبار العربية الفصحى اللّغة الأمّ للجزائريين أو لغة ثانية باعتبار العامّية الجزائرية هي اللّغة الأولى الّتي يكتسبها الطفل الجزائري في أحضان أسرته[2].

ويجب أن نشير، في هذا السياق، إلى أنّ اللّغة الرّسمية في الجزائر هي العربية الفصحى، فهي لغة التدريس في كلّ الأطوار التعليمية ابتداء من المرحلة الابتدائية إلى الجامعية، إضافة إلى كونها اللّغة الرّسمية في المؤسّسات الإدارية، القضائية والإعلامية التابعة للسلطة الرّسمية في الحزائر.

1-ينظر: منهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي اللغة العربية وآدابها، الشعبتان: - آداب / فلسفة/لغات أجنبية، مارس2006

2-Voir: Ibrahimi, Khaoula,Taleb, 1997, Les algériens et leurs langues: Eléments pour une approche sociolinguistique de la société algérienne. Editions El Hikma, pp. 33-130.

في هذا الإطار، تجدر بنا الإشارة إلى مسألة المستويات اللّغوية بالنسبة للعربية ذاتها وهي مسألة قد تثير الكثير من الجدل. إذ إنّ العربية الموظّفة في الإعلام، مثلا، غير العربية الّتي يتعامل بها الأدباء. ما جعل بعض الباحثين يقسّم العربية الفصحى إلى مستويين: العربية الفصحى الكلاسيكية أو الأدبية والعربية الفصحى الحديثة[1].

انقسم الجزائريون، بعد الاستقلال، إلى فريقين. فريق يدعو إلى تعميم تعريب التعاملات على مستوى كلّ المؤسّسات الرّسمية وفريق يدعو إلى الانفتاح من خلال الإبقاء على استعمال اللّغة الفرنسية[2].

عقب صراعات فكرية وإيديولوجية، مالت كفّة الدعاة إلى التعريب وانطلق بذلك مشروع تعميم استعمال العربية الفصحى في المؤسّسات التعليمية الجزائرية. وسيتولّد عن هذه السياسة صراع لغوي ذو اتّجاهين: صراع بين العربية والفرنسية وصراع بين العربية واللّهجات الحاضرة بقوّة في الأوساط السوسيولسانية في جزائر ما بعد الاستقلال.

وستحدّد المادّة رقم 91-05 قي يناير 1991(المادّة 37 من الجريدة الرّسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية) منزلة اللّغة العربية بالنّسبة للمؤسّسة التعليمية في الجزائر من خلال إلزامية تعميم استعمال هذه اللّغة في كلّ الأوساط التعليمية. وسيتعلّق هذا الاستعمال، في البداية، بالمواد المسمّاة بالأدبية ثمّ ينتقل إلى المواد العلمية.

وكانت النتيجة، التحاق الدفعات الأولى الّتي مسّتها سياسة تعريب تعليم العلوم بالجامعات الجزائرية في الدخول الاجتماعي لسنة 1989.

1- Voir: Ferguson, Charles, 1959, Diglossia Word. vol. 15, p. 325-340.

2- Voir: Grandguillaume, Gilbert, 2004, «L'arabisation au Maghreb». Revue de l'aménagement linguistique, no 107, p. 14-40.

وبالموازاة مع هذه السياسة، عرفت المدرسة الجزائرية إصلاحات تربوية كثيرة منها مشروع الانفتاح على العالم الخارجي الّذي انطلق في مطلع القرن الواحد والعشرين والّذي تجسّد في سنة 2003 من خلال تبنّي الحرف اللاتيني في الكتابة الرياضية إضافة إلى القراءة من اليسار إلى اليمين. وفي نفس السياق، استدركت اللّغة الفرنسية بعض منزلتها باعتبارها أوّل لغة أجنبية ستدرّس ابتداء من السّنة الثانية في المرحلة الابتدائية.

وفي المقابل، فإنّ الجامعة الجزائرية ستشهد تناقضات كبيرة شكّلت أحد العوائق الّتي سيواجهها الطالب الجزائري أمام سعيه لتعلّم المواد العلمية. إنّنا في وضعية تناقضات، لأنّ الطالب الّذي تلقّى تعلّمات باللّغة العربية في الأطوار الابتدائية والمتوسّطة والثانوية سيجد صعوبات في التعامل مع الفرنسية الحاضرة في الدّروس الّتي يقدّمها الأستاذ وفي البيبليوغرافيا المكتوبة بغير العربية. في هذه الحالة، سيواجه الطالب عائقين: عائق يتعلّق بالميدان العلمي نفسه وعائق يتعلّق باللّغة.

يجمع الكثير من أهل الاختصاص في ميدان التعليمية على فاعلية توظيف التناوب اللّغوي في الأوساط التعليمية المتعدّدة اللّغات. ويرى أغلبهم أنّ استعمال هذه الإستراتيجية يستجيب فعليا للاحتياجات التواصلية اليومية، إذ إنّ اللّغة الأمّ تتدخّل كأداة ميتالسانية وميتامعرفية لتسهيل التحصيل العلمي من الدروس المقدّمة بلغة ثانية أو ثالثة... [1]

إشكالية اختيار لغة تعليم المواد العلمية في الجامعة الجزائرية:

1- Voir: Grojean, F, 1982, Life with two languages, Cambridge, Harvard University Press, http: //books. google.
com/books?hl=fr&lr=&id=VqGpxZ9pDRgC&oi=fnd&pg=PA1&dq=Grosjean,+F.
+%281982%29. +Life+with+two+languages.
+Cambridge,+Harvard+University+Press&ots=AOnijFBjch&sig=E8dVvzq3j3WrXt
xFbmm5KhXmFmQ#v=onepage&q&f=false

أشار "فيرجيسون" (Ferguson) إلى المردود الكبير الّذي يؤدّية الاختيار الذكيّ للغة التعليم في الوسط المتعدّد اللّغات مميّزا بين التنوّعات اللّغوية في مثل هذه الأوساط[1]. فهناك لغة تمثّل تنوّعا ذا مستوى رفيع يعبّر عن الانتماء التاريخي والحضاري للأمّة كما هو الشأن بالنسبة للعربية في الجزائر، وتنوّع ذو مستوى أقلّ يعبّر عن وضعيات محدودة في مجالات محدودة كشأن اللّغة الفرنسية في بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية للجزائريين.

ومع هذا، فإنّ اختيار لغة التعليم والتعلّم في الجامعة الجزائرية يبدو أمرا معقّدا نظرا لتواجد لغات عديدة مع مستويات مختلفة في نفس الوضعيات التواصلية. فالطالب في الجامعة يتوقّع تعلّما بالعربية الفصحى، لكنّه يتلقّى، في الواقع، تعلّما بالفرنسية أحيانا وبالعربية الفصحى في أحيان أخرى وبالعاميّة الجزائرية في وضعيات، وفي أخرى بمزيج بين تلك اللّغات كلّها.

وقد بيّنت الدراسات البحثية في شأن اتّخاذ القرار أنّ الأستاذ يتّخذ قرارات عدّة أثناء التخطيط والإعداد لدروسه، وأنّه، في قاعة الدروس، يتّخذ قرارا في كلّ دقيقتين تقريبا انطلاقا من تحليله للمعطيات والمعلومات المتاحة لديه معتمدا على تصوّراته الشخصية لعمليتي التعليم والتربية بشكل عامّ. هذه التصوّرات ستحدّد، إذن، تلك القرارات الّتي ستؤثّر في سير الدّروس[2].

ومن ثمّة، سيكون من الضروري معرفة كيف، متى ولماذا يتمّ انتقاء إستراتيجية معيّنة دون غيرها وبالتالي، الإجراءات الواجب الالتزام بها من أجل ضمان فاعلية هذه الإستراتيجية.

1- Voir: Ferguson, Charles, 1959, Diglossia Word. vol. 15, p. 325-340.

2- Voir: Shavelson, R. J. , Stern, P. (1981). Research on teachers' pedagogical thoughts, judgements, decisions, and behavior. Review of Educational Research, 51(4), 455-498.

كلّ هذه المقدّمات تدعو إلى وجوب الاهتمام بتكوين مدرّس يفكّر بوعي في الإجراءات البيداغوجية الّتي يختارها حتّى يتسنّى له تعديلها أو الاستمرار في تبنّيها بوعي أيضا.

بيّن الكثير من الباحثين العلاقة التلازمية الواضحة بين النتائج المتحصّل عليها، مثلا، في الرياضيات والصعوبات اللّغوية الّتي يواجههاالطلبة. ولقد أكّد كلّ من "وونغ" و"غولدسميث"Wang et Goldschmidt هذه الفكرة موضّحين أنّ التلاميذ الّذين لا يمتلكون كفاءة لغوية عالية لا ينجحون، في العادة، في امتحانات مادّة الرياضيات[1]، وبيّن "هوقستيتر" Hofstetterأنّ نتائج الطلبة المتعلّقة بتحصيل مادّة الرياضيات تكون مرتفعة عندما يكون مستوى الكفاءة اللّغوية عند هؤلاء مرتفعا. [2]و هذا الّذي دفع "جوبر" و"ريبيار" Jaubert et Rebière إلى الدّعوة إلى فكرة التوافق بين الطالب والأستاذ فيما يتعلّق بالأداءات اللّغوية الّتي ينبغي أن تكون حاضرة في قاعة الدّروس. فهذا التوافق من شأنه أن يسهم بفعالية في تبسيط وتسهيل عملتي التعليم والتعلّم في أقسام الشعب العلمية لاسيما أقسام مادّة الرياضيات[3].

-خاتمة

إنّ الإصلاحات التربوية تتمحور حول نشاط المتعلم والفعل الذي يحصل من خلاله المعارف ويكتشفها، ويشارك بنفسه في بناء المعارف مستعملا مبادرته الإبداعية، بدلا من تلقي المعارف (جاهزة). وهي طرائق تعتمد على المبادرة

1-Voir: Wang, J. and Goldschmidt, P. (1999). Opportunity to learn, language proficiency and immigrant status effects on mathematics achievement. The journal of educational research. N°93(2).

2Voir: Hofstetter, C. (2003). Contextual and Mathematics accommodation test effects for English- language learners. Applied measurement in éducation. N°16(2), pp. 159–188.

3Voir: Jaubert M. &Rebière M. &Bernié J-P. (2003). L'hypothèse « communauté discursive »: d'où vientelle ? où va-t-elle ? Les cahiers THÉODILE. N°4, pp. 51 – 80.

الشخصية الإبداعية والاكتشاف الذاتي... فالنشاط يعتبر جماعة القسم جماعة منتجة ومتعاونة، والإنتاج هو إنتاج شخصي وفردي للمتعلمين...والمعايير التي تستند إليها هي: 'النشاط والحرية، وحق المبادرة والتربية الذاتية والقرار الشخصي والاستقلالية.

ومن المتوقع من التدريس الفعال أن يربي التلاميذ على ممارسة القدرة الذاتية الواعية التي لا تتلمس الدرجة العلمية كنهاية المطاف، ولا طموحا شخصياً تقف دونه كل الطموحات الأخرى إنه تدريس يرفع من مستوى إرادة الفرد لنفسه ومحيطه ووعيه لطموحاته ومشكلات مجتمعه وهذا يتطلب منه أن يكون ذا قدرة على التحليل والبلورة والفهم ليس من خلال المراحل التعليمية فقط ولكن قدرات مستمرة يُنتظر أن توجدها وتنميها المراحل التعليمية التي يمر من خلالها الفرد. [1]

1- http: //boukehil. blogspot. com/2011/12/2. html#!/2011/12/2. html

-قائمة المراجع باللّغة العربية

-منهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي اللغة العربية وآدابها، الشعبتان: - آداب / فلسفة/لغات أجنبية، مارس2006

منهاج السنة الأولى من التعليم الابتدائي جوان 2011

قائمة المراجع باللّغتين الفرنسية والانجليزية

-Calvet Louis-Jean, 1999, La guerre des langues et les politiques linguistiques. Hachette Littératures, pp. 43-53.

Dubois et al, 1973, Dictionnaire De Linguistique, Librairie Larousse, Paris, P. 119.

Ferguson, Charles, 1959, Diglossia Word. vol. 15, p. 325-340.

Grand guillaume, Gilbert, 2004, «L'arabisation au Maghreb». Revue de l'aménagement linguistique, no 107, p. 14-40.

Grojean, F, 1982, Life with two languages, Cambridge, Harvard University Press, http: //books. google. com/books?hl=fr&lr=&id=VqGpxZ9pDRgC&oi=fnd&pg=PA1&dq=Grosjean,+F. +%281982%29. +Life+with+two+languages. +Cambridge,+Harvard+University+Press&ots=AOnijFBjch&sig=E8dVvzq3j3WrXtxFbmm5KhXmFmQ#v=onepage&q&f=false

-Hofstetter, C. (2003). Contextual and Mathematics accommodation test effects for English- language learners. Appliedmeasurement in éducation. N°16(2), pp. 159–188.

-Ibrahimi, Khaoula,Taleb, 1997, Les algériens et leurs langues: Eléments pour une approche sociolinguistique de la société algérienne. Editions El Hikma, pp. 33-130.

Jaubert M. &Rebière M. &Bernié J-P. (2003). L'hypothèse « communauté discursive »: d'où vientelle ? où va-t-elle ? Les cahiers THÉODILE. N°4, pp. 51 – 80.

-Shavelson, R. J. , Stern, P. (1981). Research on teachers' pedagogical thoughts, judgements, decisions, and behavior. Review of Educational Research, 51(4), 455-498 .

-Wang, J. and Goldschmidt, P. (1999). Opportunity to learn, language proficiency and immigrant status effects on mathematics achievement. The journal of educational research. N°93(2).